الباب الثاني المعجزة والكرامة والسحر

اقتضت حكمة الله تعالى أن خلق لعباده العقل الذى يميزون به طريقى الخير والشر فهو القائل سبحانه: ﴿وهديناه النجدين﴾(١) وأرسل فيهم الأنبياء والمرسلين دعاة إلى سبيل الخير والرشاد ورضى الله فى الدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار، وقد أيد الله أنبياءه بالمعجزات والدلائل والآيات البينات ليستبين الإنسان قدرة الله فيها وتكون طريقاً إلى الإيمان به والاهتداء إليه. كما وهب الله كراماته لبعض عباده من أوليائه لا ليشاركوا الله سبحانه وتعالى فى أفعاله وصفاته ولكن ليثبت بها قلوبهم لتكون بشارة من الله تعالى لهم بالقبول والتثبيت فيدينون له بالفضل والنعمة على الهداية والإيمان فيزدادون منه قرباً وتكون سبباً لإيمان الناس بقدرة الله سبحانه وبآياته التى لا تنفد.

ويقول الإمام النووى عليه رحمة الله: العادة تنخرق على يد النبى والولى والساحر فالنبى يتحدى بهاالخلق ويستعجزهم عن إتيان مثلها ويوضح لهم قدرة الله تعالى فى هذه المعجزة التى تكون مؤيدة لدعوته، أما الولى والساحر فلا يتحديان بها ولكى نفرق بينهما ينبغى أن نعتبر بحال كل منهما فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات(٢) تكون كرامة، وإلا فهو سحر ناتج عن إعانة الشياطين لهذا الرجل وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت كفعل سحرة فرعون الذين سحروا أعين الناس وخيلوا لهم أن معهم ثعابين مع أنها لم تخرج عن كونها حبالاً وعصياً(٣) وقد اختلف العلماء فى مدى تأثير السحر ويقول النووى رحمة الله: إن بعض أصناف السحر لها تأثير فى القلوب كالمحبة والبغض والألم والسقم، لكن المعروف والثابت أن السحر لا يستطيع قلب الحقائق فلا يستطيع تحويل حيوان إلى جماد مثلاً أو العكس وهذا هو الفرق بين قلب عصا موسى إلى حية تسعى وهو من جنس المعجزة، وما قام به السحرة من إيهام الناس أن حبالهم وعصيهم ثعابين وهذا من جنس السحر(٤).

---

(١) البلد: ١٠ .
(٢) الموبقات: كبائر المعاصى.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى.

الفصل الأول : المعجزة

المعجزة أمر خارق للعادة يؤيد الله تعالى بها أنبياءه وقد سميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم باسم البينة والآية والبرهان، وهى من براهين النبوة التى يعلم بها صدق صاحبها من الأنبياء ويقول ابن حزم: إن دليل صدق المعجزة هو أن الله تعالى هو فاعل كل شيء ومجرى الأمور على طبائعها المعلومة ، فإذا وجدنا أشياء فى حكم الممتنع قد وجبت ووجدت كصخرة انفلقت عن ناقة وعصا انقلبت حية فلنعلم أن محيل هذه الطبائع وفاعل هذه المعجزات هو الأول الذى أحدث كل شيء وهو القادر وحده على قلب الموجودات وتغيير طبائع الأشياء، وبذلك يصح لهؤلاء الأنبياء الادعاء بأنها من عند الله تعالى ولامدخل لعلم إنسان ولاحيلة له فيها (١).

وللمعجزة شروط يجب أن تتوافر فيها وهى:

١- أن تكون خارقة للعادة (٢) كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابع النبى ﷺ، وإخراج الناقة من الصخرة الصماء.

٢- أن تكون مقرونة بالتحدى ليقيم النبى بها الحجة على قومه.

٣- أن لايأتى أحد بمثل ما أتى به المتحدى مع أمنه المعارضة لهذه المعجزة، وهذا هو الخلاف بين المعجزة والسحر لأن السحر يمكن معارضته بسحر يغلبه، أما المعجزة فتكون آية قاطعة لا يستطيع أحد أن يعارضها أو أن يشكك فى صدقها.

٤- أن تقع المعجزة وفق دعوى المتحدى ولاتعارضه فلو أن شخصاً يدّعى الرسالة مثلاً قال إن آية نبوته أن تنطق يده فنطقت يده بكذبه لكان مدعياً، كما فعل مسيلمة الكذاب مدعى النبوة حيث تفل فى بئر ليكثر ماؤها فغارت (٣) كما تفل فى عين شخص مصابة فعميت عينه السليمة.

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

(٢) العادة هى الأمور الثابتة فى الطبيعة التى اعتاد الناس عليها. (٣) غار الماء: نقص وقل.

ومتى اختل شرطٌ من هذه الشروط لم تكن معجزة (١).

قال التفتازانى للمعجزة شروط سبعة

١- أن تكون من فعل الله لأن التصديق لايكون إلا من قِبَلِه.

٢- أن تكون خارقة للعادة وألا تكون مقدورة للنبى قبلها.

٣- أن تتعذر معارضتها.

٤- أن تكون ظاهرة على يد النبى ليعلم أنها تصديق له.

٥- أن تكون موافقة للدعوى.

٦- ألا تكون المعجزة مكذبة له.

٧- ألا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى بل مقارنة لها، فلو قال: معجزتى قد ظهرت على يدى قبل ذلك لم يدل على صدقه(٢).

ويقسم ابن حزم المعجزات إلى أصناف ثلاثة(٣):

يقول إذا اعتبرنا أن العالم كله جوهر وعرض - فالجوهر هو ذات الشيء نفسه من الموجودات والعرض هو ما يطرأ على هذه الموجودات من أحوال.

١- فالمعجزة قد تكون جوهراً وجد من العدم إلى الوجود فيكون من الممتنع البته لأحد أن يأتى بمثلها مثل اختراع جسم كالماء النابع من أصابع الرسول ﷺ.

٢- إحالة بعض الموجودات وقلبها مثل قلب العصا حية والبقاء فى النار دون إحراق.

٣- إحالة الأعراض التى لاتزول إلا بفساد حاملها - من موت أو مرض - مثل الرزق هذا بخلاف الأعراض التى تزول بغير فساد حاملها مثل إبعاد البرد ببعض الصناعات كالطب والرقى وغير ذلك مما يدخل فى باب السحر.

---

(١) الصالحى فى سبل الهدى والرشاد.

(٢) شرح المقاصد (٣/٣١٧).

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل.

ويقول الصالحى إن هناك نوعين من المعجزات:

١ـ أن تكون مقدورة للبشر يمكنهم الإتيان بها لكن الله تعالى عجّزهم عن فعلها دليلا على صدق نبيه كصرف اليهود عن تمنى الموت، قال تعالى:﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾(١).

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً معجزة القرآن الكريم الذى تحدى الله به أهل البلاغة واللغة فعجزوا عن الإتيان ولو بآية منه، قال تعالى:﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾(٢).

٢ـ أن تكون خارجة عن إرادتهم فلايقدرون على إتيانها لأن هذه المعجزة ليست من جنس أفعالهم كإحياء الموتى أو قلب العصا حية أو انشقاق البحر(٣).

فضل معجزات رسول الله صلي الله عليه وسلم علي معجزات سائر الأنبياء:(٤)

فى الحقيقة أننا إذا أردنا سرد ما آتى الله أنبياءه من معجزت لن يسعنا حصر ولا عدد فالعلم بها عند الله سبحانه، لكننى أمام الضرورة العلمية التى يقتضيها هذا العمل فى حاجة ماسة إلى ذلك ـ لكنى بفضل الله ومنته ـ رأيت أن أسرد بعضًا مما يسّره اللهُ لى من معجزات آتاها الله نبيه محمداً ﷺ وذلك لسببين فى نفسى الأول: أن كرامات أولياء الله من الصحابة والتابعين تحسب معجزة للنبى صاحب الشريعة الذى يتبعه هذا الولى وعلى هذا فيكون هذا العمل بمجمله يدور فى فلك معجزات النبى ﷺ، والسبب الثانى أن رسول الله

---

(١) الجمعة: ٦، ٧ . (٢) الإسراء:٨٨ .

(٣) الصالحى فى سبل الهدى والرشاد.

(٤) أول من تكلم فى هذا الموضوع هو الإمام الشافعى وعبد الله بن حامد الفقيه وأبو عبيد فى كتاب الدلائل.

ﷺ هو أكثر الأنبياء والمرسلين من حيث عدد المعجزات كما تعد معجزاته أعظم من معجزات جميع الأنبياء وهو ما يتفق مع هذا الفصل، ويقول الإمام الشافعي رضى الله عنه: ما أعطى الله نبياً قط شيئاً إلا وأعطى محمداً ﷺ أكثر(١). وقال العلماء: ما أوتى نبى من معجزة ولا فضيلة إلا ونبينا ﷺ أوتى نظيرها أو أعظم منها(٢). وهذا أمر طبيعى يقبله العقل لأن رسول الله ﷺ هو خاتم الرسل فلا نبى بعده قد تحمَّلَ أعظم رسالة وأشملها فهى الرسالة الخاتمة والدين القويم الذى ارتضاه الله لنفسه، كما أنه هو الدين الذى جاء ليسع كل الرسالات السابقة فلا يسمع به واحدٌ من أهل الرسالات السابقة إلا ويدخل فيه فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ما بعث الله نبياً قط إلا أخذ عليه العهد: لئن بعث محمد ﷺ وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأخذ الميثاق على أمته إن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه(٣). فهو عليه أفضل الصلاة والتسليم دعوة إبراهيم ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٤) وبشارة عيسى ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾(٥) فعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى»(٦) كما أن دعوة الرسول ﷺ تعدت المكان والزمان فهو رسول الله إلى الناس كافة لقوله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافة»(٧). وقوله ﷺ:

---

(١) رواه البيهقى فى الدلائل وابن أبى حاتم. (٢) الصالحى فى سبل الهدي والرشاد.
(٣) رواه البخارى فى صحيحه. (٤) البقرة:١٢٨، ١٢٩ . (٥) الصف: ٦ .
(٦) رواه الحاكم فى المستدرك وأحمد فى المسند والطبرانى فى التفسير والبيهقى فى الدلائل وابن سعد فى الطبقات والبغوى في التفسير وابن كثير فى البداية والنهاية، والهندى فى كنز العمال، والقرطبى فى تفسيره، والألبانى فى السلسلة الصحيحة.
(٧) أخرجه أحمد فى المسند والبيهقى فى السنن والهيثمى فى الزوائد (٢٥٩/٨) عن السائب بن زيد، والطبرانى فى الكبير وابن سعد فى الطبقات، وابن كثير فى تفسيره، والهندى فى كنز العمال، وابن حجر فى فتح البارى.

«بعثت إلى الأحمر والأسود»(١).

وهذا يعنى أن رسالته قد خاطبت أقواماً شتى فكان من الطبيعى أن تفوق معجزاته معجزات الأنبياء الذين كانت دعوة الواحد منهم لا تتجاوز قومه فمعجزاته أعظم المعجزات وأكثرها وما تعد معجزات الأنبياء من قبله إلا بعضاً مما آتاه الله من معجزات وآيات ويقول البوصيرى فى ذلك:

وكل آى أتى الرسُلُ الكرامُ بهـا ... فـــإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبُها ... يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

فإذا أردنا حقاً الحديث عن معجزات الأنبياء والمرسلين يجب علينا أن نتعدى ذلك إلى ما هو أوسع منه وأشمل ولابد لنا أن نرتع فى روضة معجزات النبى ﷺ ننتقى من بين أزهارها وثمارها ما يبلغنا أربنا.

مع آدم عليه السلام:

إن كان الله تعالى قد خلق آدم عليه السلام بيده، فقد شرح الله صدر نبينا محمد ﷺ وزرع فى قلبه الإيمان والحكمة ونزع منه موضع الشيطان قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾(٢)، وكما علم الله آدم الأسماء كلها فقد آتى نبينا ﷺ جوامع الكلم(٣) أى الفصاحة والبلاغة والإعجاز اللغوى، وكما أن آدم هو أبو البشر فإن النبى ﷺ هو أفضل ولد آدم على الإطلاق(٤) وكما أن آدم عليه السلام يعد أول لبنة فى صرح النبوة فإن رسول الله ﷺ هو اللبنة التى اكتمل بها البناء وبدونه ما تم

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند والدارمى فى السنن وأبو دود فى السنن،والهيثمى فى الزوائد (٢٥٨/٨)، وابن سعد فى الطبقات، وابن كثير فى البداية والنهاية وفى تفسيره، والقرطبى فى تفسيره، والهندى فى كنز العمال.

(٢) الشرح: ١:٤ .

(٣) فى الصحيحين قال النبى ﷺ: «بعثت بجوامع الكلم».

(٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة..» [رواه مسلم فى صحيحه وأبو داود فى سننه].

لهذا البناء شكل أو صورة فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل ابتنى داراً فأحسنها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع تلك اللبنة، جئت فختمت الأنبياء»(١).

مع إدريس عليه السلام:

إن كان الله تعالى قد رفع إدريس مكاناً علياً ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ...﴾(٢) فقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به فى ليلة الإسراء والمعراج فى السماء الرابعة فقد رفع الله نبينا محمد ﷺ فى رحلة المعراج إلى قاب قوسين وهو مكان لم يبلغه ملك مقرب أو نبى مرسل فقد ثبت فى الصحيح أن الرسول عُرج به حتى انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾(٣).

مع نوح عليه السلام:

يقول أبو نعيم: زاد نبينا على نوح بأنه فى مدة ثلاث وعشرين سنة آمن به ألوف كثيرة ودخل فى دين الله أفواج من الناس بينما أقام نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ... ﴾(٤) فآمن به أقل من مائة نفس فى هذه المدة الطويلة ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٥)، وقال عبد الله بن حامد الفقيه: إن الله أغرق قوم نوح بدعوته عليهم فشفى صدره بإهلاكهم وعندما كان رسول الله ﷺ فى مثل موقفه(٦) وكذبته قريش واستخفت به ثقيف أنزل الله تعالى عليه ملك الجبال

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه (٣٥٣٤)، والبيهقى فى الدلائل، والسنن الكبرى.

(٢) مريم: ٥٧ .

(٣) النجم: ٨:٩ وقد اختلف العلماء فى معنى الآيتين فقيل إن الرسول ﷺ دنا من ربه، وقيل الذى اقترب منه ﷺ هو جبريل عليه السلام وقال البيهقى الرأى الثانى هو الأرجح وهو قول عائشة وابن مسعود وأبو هريرة (ابن كثير فى تفسيره).

(٤) العنكبوت: ١٤ . (٥) هود: ٤٠ .

(٦) رحلة الطائف وتكذيب أهلها له.

وأمره أن يطيعه(١) ويكون وفق أمره فاختار نبى الله ﷺ الصبر على أذاهم أملاً أن يخرج الله من بين أصلابهم من يؤمن برسالته(٢) فالفارق بينهما واضح عليهما السلام فهذا نوح عليه السلام استعجل دعوته فى الدنيا دعا بها على قومه وهذا نبى الله محمد ﷺ أجَّل دعوته إلى يوم القيامة فعن عبد الرحمن بن أبى عقيل رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، منهم من اتخذها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأُهلكوا بها، فإن الله أعطانى دعوة، فاختبأتها عند ربى شفاعة لأمتى يوم القيامة»(٣). وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمةمن عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فَـرَطاً(٤) وسلفاً بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حىّ فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»(٥). وهذا ما حدث فى قوم نوح عليه السلام لما عصوا أمره وهذا يوضح جلياً فضل الله على أمة محمد ﷺ من بين سائر الأقوام والأمم.

مع هود عليه السلام:

إن كان الله قد أهلك عاداً قوم هود بالريح العقيم﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا(٦) فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾(٧) وقال

---

(١) عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ بعد فراغه من دعائه بعد تكذيب ثقيف قال: «فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال، فسلم علىّ، ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين جبلين حول مكة هما : أبو قيس وقعيقعان- فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله عزوجل من أصلابهم من يعبد الله عزوجل وحده لايشرك به شيئاً». [البخارى ومسلم فى صحيحهما].

(٢) ذكره الصالحى فى سبل الهدى.

(٣) رواه الطبرانى والبزار بإسناد جيد ، والهندى فى كنز العمال،والمنذرى فى الترغيب والترهيب،وابن أبى عاصم فى السنة وابن أبى شيبة فى المصنف وصححه الألبانى.

(٤) فرطاً: سابقاً

(٥) رواه مسلم فى صحيحه، والهندى فى كنز العمال، والخطيب فى تاريخه، والبيهقى فى الدلائل ، وابن كثير فى البداية والنهاية.

(٦) شديدة الصوت . (٧) القمر: ١٩ ، ٢٠ .

تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا(١) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (٢) فقد نصر الله نبينا ﷺ بالصَّبَا(٣) في يوم الأحزاب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾(٤) وقال رسول الله ﷺ: «نصرتُ بالصَّبَا وأهلكت عادٌ بالدُّبُور»(٥).

مع صالح عليه السلام:

إن كان الله تعالى قد جعل الناقة آية لصالح عليه السلام، فقد أعطى رسوله ﷺ آية أعظم لأن ناقة صالح لم تكلمه بينما كلم البعير نبينا وشهد له بالرسالة فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط(٦) من حيطان بني النجار، إذا فيه جمل عظيم قطيم(٧) لا يدخل الحائط رجلٌ إلا شد عليه. قال: فجاء رسول الله ﷺ حتى أتى الحائط فدعاه فجاءه واضعاً مشفره(٨) في الأرض حتى برك بين يديه فقال النبي ﷺ: هاتوا خطامه(٩) فخطمه(١٠) ودفعه إلى أصحابه ثم التفت إلى الناس فقال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا ويعلم أني رسول الله، غير عاصي الجن والإنس»(١١).

---

(١) متتابعة.
(٢) الحاقة: ٦، ٧.
(٣) الصبا: ريح تهب من جهة الشرق.
(٤) الأحزاب: ٩.
(٥) أخرجه البخاري(٤١٠٥) ومسلم في صحيحهما والنسائي في سننه وأحمد في المسند، والبيهقي في السنن، والحاكم في المستدرك، وعبد الرزاق في المصنف، والطبراني في الكبير والصغير، والهيثمي في الزوائد، والهندي في كنز العمل، والخطيب في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وابن كثير في البداية وابن عدي في الكامل.
(٦) حائط: بستان.
(٧) قطيم: هائج.
(٨) المشفر في البعير بمنزلة الشفاة من الإنسان.
(٩) خطام: زمام.
(١٠) خطم البعير: ألجمه.
(١١) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٢٦٩) وإسناده صحيح والدارمي في سننه وأبو نعيم في دلائل النبوة، الهندي في كنز العمال، وابن أبي شيبة في المصنف.

مع إبراهيم عليه السلام :

يقول الصالحى فى السبل: أوتى إبراهيم النجاة من النار وقد خمدت لمولد الرسول ﷺ نار فارس التى ظلت مشتعلة ألف عام(١)، كما آتى الله واحداً من أمته ﷺ مثل معجزة إبراهيم عليه السلام وهو أبو مسلم الخولانى رضى الله عنه وهذا ثابت فيما تواتر من أقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وسوف يأتى ذكرها فى باب كرامات الأولياء وهذه الكرامة تحسب من بين معجزات النبى ﷺ كما قال البيهقى إنّ الكرامات تحسب للنبى صاحب الشريعة الذى يتبعه صاحب الكرامة(٢).

مع موسى عليه السلام :

إذا كانت معجزة موسى عليه السلام هى شق البحر ﴿**وقلنا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ**(٣) **الْعَظِيمِ** ﴾(٤) فقد جعل الله معجزة أعجب منها فى واحدٍ من أمة محمد ﷺ فقد ورد فيما رواه الصحابة أن العلاء ابن الحضرمى رضى الله عنه اجتاز بفرسه الماء وسار على صفحته كما أورد الطبرى وغيره فى روايات عديدة أن سعد بن أبى وقاص اقتحم هو وجنوده نهر دجلة عندما فتح الله على يديه المدائن عاصمة بلاد فارس وهى كما ذكرنا آنفاً معجزة تحسب للنبى محمد ﷺ.

ومن ناحية أخرى نجد أن الله أعطى محمداً ﷺ معجزة أكبرمن شق البحر وهى شق القمر قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾(٥).

وقال أبو نعيم: وإن كانت من معجزات موسى عليه السلام نبع الماء من الحجر عندما ضربه بعصاه فتفجر منه الماء ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ**

---

(١) البيهقى (١/١٢٦).
(٢) سبل الهدى والرشاد.
(٣) الطود: الجبل.
(٤) الشعراء: ٦٣.
(٥) القمر: ١ ، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر .ا البخارى(٣٦٣٧) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:إن القمر انشق فى زمان النبى ﷺ ا البخارى (٣٦٣٨)].

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(١) فإن معجزة النبى ﷺ وهي نبع الماء من بين أصابعه الشريفة أبلغ من معجزة موسى عليه السلام لأن خروج الماء من الحجارة أمر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والعظم(٢) فعن أنس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ بالزوراء وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا الماء، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده فى ذلك الإناء فحين بسط يده فيه فضم أصابعه فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ فتوضئوا من عند آخرهم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا زهاء ثلثمائة(٣). وكما ظلل الله موسى وبنى إسرائيل بالغمام﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ (٤) فقد كانت الغمامة تظل رسول الله ﷺ فقد رآها بحيرا الراهب وكان رسول الله ﷺ ابن اثنتى عشرة سنة وكانت الغمامة تظله وحده من بين الناس وهذا يدل على شدة العناية به من قِبَل الله تعالى(٥).

مع داود عليه السلام:

إذا كانت معجزة الله لنبيه داود عليه السلام أن الجبال كانت تسمع ترانيمه وتسبح معه قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾(٦) فقد سبح الحصى فى كف رسول الله ﷺ وفى كف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما(٧)، كما سبح الطعام بين يديه ﷺ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ فنسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل:(٨). كما

---

(١) البقرة: ٦٠ .
(٢) ذكره الصالحى فى السُّبُل.
(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما. (٤) البقرة: ٥٧ .
(٥) الحديث رواه ابن كثير فى البداية والنهاية وأبو نعيم وابن سعد وابن عساكر.
(٦) ص: ١٨ .
(٧) البيهقى فى دلائل النبوة، والبزار والطبرانى وابن عساكر وابن كثير فى البداية.
(٨) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما والترمذى فى سننه وابن مردويه.

كانت الحجارة تسلم عليه ﷺ فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنى لأعرف حجراً كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن»(١). وعن علىٍّ رضى الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك يارسول الله(٢).

وإن كان الله تعالى قد ألان لداود عليه السلام الحديد قال تعالى: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ(٣) وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾(٤)(٥) فقد ألان الله لمحمد ﷺ ما هو أشد قوة وصلابة من الحديد وهو الصخرلأن الحديد تذيبه النار أما الصخر فلا يلين بحرارتها فقد انسالت(٦) الصخرة له كأنها كثيبٌ من الرمال فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذها المعاول، فشكونا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أنا نازل»، ثم قال جابر رضى الله عنه: فلما رآها أخذ المعول وقال: «باسم الله» وضربها ضربة تكسر ثلثها وبرقت برقةٌ أضاءت ما بين لا بتى(٧) المدينة حتى كأن مصباحاً فى جوف ليلة مظلمة، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ثم ضربه الثانية فقطع بقية الحجر، وبرق منها برقة أضاءت ما بين لابتيها، فقال ﷺ: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر صنعاء من مكانى الساعة»(٨).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه وأحمد فى المسند والطبرانى فى الكبير والصغير (٢٠١٢) وأبو نعيم فى الدلائل والبيهقى فى الدلائل وابن أبى شيبة فى المصنف والدارمى فى سننه.

(٢) رواه الترمذى فى سننه وقال: حديث حسن، والدارمى فى سننه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الدلائل.

(٣) سابغات دروع كاملة.

(٤) قدر اجعل حلقاته أصغر لتحمى جسد لابسها.

(٥) سبأ: ١١ .

(٦) انسالت: صارت تراباً.

(٧) لابتى المدينة: حرتان تكتنفاها.

(٨) رواه البخارى فى صحيحه وأبو نعيم والبيهقى.

مع سليمان عليه السلام:

وإن كان الله تعالى قد آتاه الملك ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾(١) فقد خير الله تعالى رسوله ﷺ بين أن يكون ملكاً نبياً أو أن يكون عبداً رسولاً فأختار أن يكون عبداً رسولاً (٢)فقال ﷺ: «لو شئت لأجرى الله معى جبال الأرض ذهباً ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً»(٣). وعن عبد الرحمن بن أبى عقيل رضى الله عنه قال: قال قائل منا: يارسول الله! ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان؟ قال: فَضَحَك ﷺ ثم قال: «فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، إن الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، ومنهم من اتخذها دنيا فأُعطيها فإن الله أعطانى دعوة، فاختبأتها عند ربى شفاعة لأمتى يوم القيامة»(٤).

وكما آتى الله سليمان عليه السلام فهم منطق الطير والحيوان فقد كلم رسول الله ﷺ الجمل الهائج الذى اشتكى له صاحبه الذى يجيعه ويتعبه(٥)، واشتكت إليه الحميراء(٦) من أخذ بيضها فقال لهم رسول الله ﷺ: «ويحكم أيكم فجع هذه؟»(٧) كما شهد له الذئب بالرسالة فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: إن النبى ﷺ قال: بينما راع يرعى بالحرة إذا انتهز الذئب شاة، فتبعه الراعى، فحال بينه وبينها، فأقبل الذئب على الراعى فقال الذئب. ياراعى ألا تتقى الله، تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلىّ؟ فقال الراعى: العجب من ذئب

---

(١) ص: ٣٥ .

(٢) قال رسول الله ﷺ :«خُيرت بين أن أكون ملكاً نبياً أو نبياً عبداً، فقيل لى تواضع، فأخترت أن أكون نبياً عبداً» .[رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد(١٩٢/٩) عن ابن عمر].

(٣) ابن كثير فى البداية.

(٤) رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن وصححه الألبانى.

(٥) رواه أحمد فى مسنده والدارمى فى السنن وأبو نعيم فى الدلائل.

(٦) طائر صغير كالعصفور.

(٧) أخرجه أحمد فى مسنده وابن الأثير فى النهاية والبيهقى فى الدلائل والحاكم فى المستدرك.

مقع(١) على ذنبه يكلمنى بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق..»(٢). كما تحدثت بقرة إلى رجل من قومه ﷺ فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت له: إنَّا لم نُخلق لهذا إنما خُلقنا للحرث..»(٣) وقد آتاه الله ما هو أعجب من ذلك وهو حديثه إلى الشجرة وإذعانها(٤) لأمره فقد رُوى أن رسول الله ﷺ خرج لقضاء حاجته فوجد شجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادى علىَّ بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش(٥) الذى يصانع(٦) قائده حتى أتى إلى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها، وقال: «انقادى علىَّ بإذن الله تعالى:، فانقادت معه مثل الأولى ثم جمع بينهما وقال: «التئما علىَّ بإذن الله فالتأمتا وكانتا ستراً له ﷺ(٧).

مع العزير عليه السلام:

إن كان الله أحيا للعزير عليه السلام حماره فقد أحيا الله حماراً لواحد من عباده من أتباع النبى ﷺ وذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعن أبى سبرة النخعى رضى الله عنه قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان ببعضِ الطريق نفق(٨) حماره فقام وتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إنى جئت مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من

---

(١) أقعى الذئب: افترش الأرض.
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك وأبو نعيم فى الحلية.
(٣) رواه البخارى فى صحيحه (٣٦٦٣) ومسلم فى صحيحه واللفظ لمسلم.
(٤) إذعانها: خضوعها. (٥) البعير المخطوم.
(٦) يصانعه: يداهنه ويداق له.
(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه والبيهقى فى السنن والدلائل وأبو نعيم فى الدلائل وابن عبد البر فى التمهيد.
(٨) نفق الحيوان: مات.

فى القبور لا تجعل لأحدٍ علىَّ اليوم منةً، أطلبُ إليك أن تبعث حمارى، فقام الحمار ينفض أذنيه(١).

مع عيسي عليه السلام:

إن كان الله جعل لعيسى عليه السلام معجزة العلاج والشفاء ﴿**وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ(٢) وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾(٣) فقد جعل الله تعالى لنبيه محمد ﷺ مثل ذلك فعن أبى سعيد الخدرى عن قتادة بن النعمان رضى الله عنهما أنه أصيبت عينه يوم أُحد، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: حتى تستأمر رسول الله ﷺ فاستأمروه، فقال: «لا»، فَدعى به فرفع حدقته ثم غمزها براحته، وقال: «اللهم اكسبه جمالاً» وبزق فيها، فكانت أصح عينيه وأحسنهما(٤). كما روى الشيخان أن رسول الله ﷺ تفل فى عينى علىٍّ ابن أبى طالب عندما اشتكاها يوم خيبر فبزأت، وكما أعطى الله عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذنه تعالى فقد أعطى محمداً عليه الصلاة والسلام ما هو أعظم وهو الجذع الذى أنَّ حزناً عندما هُيىء لرسول الله ﷺ منبرٌ غيره وهذه معجزة أكبر لأن الجذع ليس محلاً للحياة ومع هذا حدث له شعور ووجود(٥)، كما تحدثت الذراع المسمومة مع رسول الله ﷺ(٦) وهى أبلغ من معجزة عيسى عليه السلام لأن الله أحيا لرسول الله ﷺ جزءاً من الحيوان مع موت بقية الحيوان كما أن الله تعالى أعاد إليها الحياة مع الإدراك والفهم ولم يكن هذا

---

(١) رواه البيهقى فى سننه بإسناد صحيح وابن أبى الدنيا وابن كثير فى البداية.
(٢) الأكمه: الذين ولد كفيفاً.
(٣) آل عمران: ٤٩ .
(٤) رواه أبو يعلى والبيهقى فى الدلائل (٣/٢٥٢) وأبو نعيم ورواه ابن سعد فى الطبقات.
(٥) الحديث رواه البخارى فى صحيحه، والترمذى: وقال: صحيح وابن ماجة فى سننه وأحمد على شرط مسلم وابن أبى شيبة فى المصنف علي شرط الصحيحين.
(٦) وردت هذه القصة فى أحاديث رواها البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أنس، والبيهقى والدارمى عن جابر بن عبدالله، وأحمد وابن سعد وأبو نعيم عن ابن عباس، والحاكم عن أبى سعيد الخدرى، كما وردت فيما رواه أبو داود فى سننه، وابن كثير فى البداية والنهاية، والصالحى فى السُبل.

الحيوان يعقل كما أن إنطاق الذراع من غير فم أو لسان أبلغ من إحياء من يمتلك وسائل النطق والتعبير.

وما ذكرنا لا يعد إلا قبساً من فيوضات النبى ﷺ وبعض ما آتاه الله تعالى من فضله بما لم يسبقه إليه أحد من الآيات والمعجزات وصدق الشاعر فى قوله:

محمد المبعوث للناس رحمة ... وسيدُنا أَوْحى الضلالةَ مُصلحُ
لئن سبَّحت صُمُّ الجبالِ مجيبةً ... لداود أو لان الحديد المصَفح
فإن صخور الصم لانت بكفه ... وإن الحصى فى كفه ليسبح
وإن كان موسى نبع الماءِ من العصا ... فمن كفه قد أصبح الماءُ يطفح
ولو كانت الريحُ الرُخاءُ مطيعة ... سليمانَ لاتألو (١) تروحُ وتسرحُ
فإن الصَّبَا (٢) كانت لنصر نبينا ... برعبٍ على شهرٍ به الخَصمُ تكلحُ
وإن أوتى المُلْكَ العظيم وسُخرت ... له الجنُّ تسعى بأرض تكدحُ
فإن مفاتيح الأمور بأسرها ... أتته فردُّ الزاهدُ المترجِّحُ
فالرتبة العليا الوسيلة دُونَها ... مراتبُ أرباب المواهب تطمحُ
ولَهوَ إلى الجناتِ أولُ داخلٍ ... له بابُها قبل الخلائقِ يُفتحُ (٣)

وإن كانت معجزات جميع الرسل والأنبياء قد انتهت بموتهم فإن الرسول ﷺ قد فضل بمعجزة دائمة لم تنقض بموته ﷺ وهى معجزة القرآن الكريم؛ فهى معجزة باقية إلى يوم القيامة فى بلاغته ورصانة أسلوبه وإخباره بالمغيبات ووجود أوجه الإعجاز فيه، يقول الإمام الصالحى فى سبل الهدى والرشاد إنها هى المعجزة الوحيدة لنبى التى تستنبط منها الأحكام الشرعية ولم تستنبط الأحكام من معجزة سواها، كما أن المعجزات الماضية تشاهد بالأبصار ومعجزة القرآن تشاهد بعين العقل والبصيرة وهى أبقى لأن ما يشاهد بالأبصار العادية ينتهى بانتهاء مشاهده.

---

(١) ألا: قصّر.
(٢) الصبا: الريح التى تهب من جهة الشرق.
(٣) سبل الهدى والرشاد (١٠/٢٧٣).